قصة الوحدة

طلبت منه حينذاك أن يكتب بخط يده ما جرى في اجتماع المجلس العسكري في مكتبه في 11 كانون الثاني.. فكتب هذه الكلمة واحتفظت بها كوثيقة تاريخية لمقبل الزمن:

"لنقل مبدئيا أن الوحدة هي ضد الإلحاق، أسوأ أشكال الانقسام. وأن الأمة العربية طوال أطوار نشوئها وتقدمها في حضاراتها لم تناد بوحدة إنسانها ووحدة مختلف فروعها فحسب وإنما ارتفعت في مجال التوحيد إلى وحدة الإنسان ووحدة مصيره فقامت فيها ثورات التوحيد طوال نشوئها وتقدمها لتوحد الأمم في الإله العادل. فإذا جئنا إلى وحدة عام 1958 التي قامت بين قطري أمتنا العربية سورية ومصر نجد أن جماهيرنا كانت أحق الجهات بشرف إنجاز تلك الوحدة ولا عبرة لبعض الأقليات المخالفة، فهذه الجماهير نشأت تاريخيا على التوحيد. لقد كانت الأيام التي تمت فيها الوحدة السورية المصرية أعيادا لا نظير لها في الحياة المعاصرة لأمتنا.. فالشعبان السوري والمصري مثلا استقبلا تلك الأيام بأفراح بلغت فيها نفوس الناس ذروة السعادة والارتياح، الأمر الذي يشكل ردا حاسما على كل أولئك الأنانيين الفرديين مدعي التعقل الكاذب بطرح أفكار ظاهرها البريق الخلب وباطنها الإحباط وخيبات الأمل. فإرادة الأمة هي التي يجب أن تؤخذ بالحسبان وليست حسابات الحاسبين المتآمرين الذين يبحثون عن تأجيل وقوع الصحيح، سيما عندما يكون هذا الصحيح في مصلحة الأمة وضد مصالح أعدائها المستعمرين والصهاينة.

إن كثيرا من الجهات التي ادعت بأنها كانت وراء تلك الوحدة التي تم إنجازها بين سورية ومصر تفتقر إلى وقائع مادية تثبت دعواها. إلا أن من الثابت مثلا أن قيادة الجيش السوري دعت ممثلي مختلف وحدات الجيش إلى اجتماع في مكتب القائد العام اللواء عفيف البزري ليلة سفر وفد من الضباط إلى مصر لمطالبة القيادة المصرية بالمجيء إلى تحقيق الوحدة مع مصر وذلك تنفيذا لمبادئ كنت طرحتها أنا الفريق عفيف البزري عندما توليت القيادة العامة

للجيش والقوات المسلحة على ممثلي قطعات الجيش، ويأتي في مقدمة هذه المبادئ ما يلي:

1- المهمة الأساسية للجيشين حماية أرض الوطن من كل عدوان.

2- صيانة استقلال القطر العربي السوري والعمل على إحباط كل تآمر يمس هذا الاستقلال.

3- العمل على تحقيق الوحدة العربية بدءا من الوحدة مع القطر المصري.

وكان استقبال الضباط المجتمعين ذلك الطرح بالموافقة بدون تردد وبكل حماس. ولكي أمنع كل عمل يعطل هذا الأمر ويعيقه أمرت باستمرار الاجتماع إلى أن تتم الأمور التالية:

1- كتابة رسائل إلى كل من رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابي ورئيس الوزراء ووزير الدفاع بتوقيع القائد العام للجو والقوات المسلحة لطلب العمل على إتمام أمر الوحدة مع مصر وإبلاغ هذه الجهات أن وفدا من الضباط سيسافر إلى القاهرة فورا لعرض هذا الطلب على القيادة المصرية العليا. فالدستور السوري والقوانين السورية تحض نصا وروحا على العمل لتحقيق الوحدة العربية بكل طريقة ممكنة. وكان الإمكان في تلك الليلة واقعا ولا شيء يمنعه إلا النيات السيئة.

2- انتخاب وفد الضباط إلى مصر برئاسة القائد العام اللواء عفيف البزري.

3- تجهيز طائرة تحمل الوفد المذكور فورا إلى مصر.

وقد أبلغ الملحق العسكري المصري العقيد عبد المحسن أبو النور قرار الاجتماع وطلب إليه إبلاغ القيادة المصرية العليا أن وفدا سوريا يتجه الليلة إلى القاهرة لعرض قرار الجيش السوري. وقد حاول الضابط المصري المذكور تأخير العملية بكل ما أوتي من قوة إلا أنه قوبل بالرفض وقيل له أن عليه فقط إبلاغ قيادته بما يحصل، وليس عرقلة الأمور، فالطائرة السورية حاملة وفد الضباط المذكور متوجهة إلى القاهرة حتما.

أما الرسائل بتوقيع القائد العام للجيش والقوات المسلحة إلى المسؤولين فقد حملها العميد أمين النفوري إلى أصحابها في صبيحة اليوم التالي وهي معروفة

وليس بوسع أحد إنكار وجودها. كما أنه ليس بوسع أحد أو أي جهة من الجهات أن تدعي بأنها كانت وراء هذا الأمر من قريب أو بعيد. فظروف أمتنا في تلك الأثناء كانت هي الوحيدة التي شجعت هذه المسيرة التي انطلقت بكل يسر وسهولة. ما كان هنالك انقلاب كما يدعي بعض سيئي النية والبسطاء المغرورين وإنما كان إنجاز وطني تقدمي تحقق بالاستناد إلى إرادة الأمة التي أشرنا أعلاه إلى تجليها بأكمل شكل بالأفراح التي قامت في أيام الوحدة. لم يستنفر أحد في الجيش في كل تلك الأيام وإنما منع الضباط الذين تقدموا هذا الأمر وحضروا ذلك الاجتماع من الذهاب حينذاك إلى أهليهم كي لا يشيع الأمر وتصل الأخبار إلى العدو قبل تحرك الطائرة حاملة وفد ضباط الوحدة إلى القاهرة. وقد قبل المسؤولون في كل من سورية ومصر طلب الجيش المذكور في إنجاز الوحدة السورية المصرية كما تقبله عفويا الضباط السوريون عندما عرض عليهم الأمر في الاجتماع الآنف الذكر.

وقد انهارت تلك الوحدة، لا بسبب الجماهير ولكن بداهة بسبب الجرائم والأخطاء التي ارتكبها المسؤولون عن حفظها وصيانتها من الضياع. أما أعداؤها فإنهم الأعداء وقد حاربوها بكل ما استطاعوا ولكننا نحن المسؤولين عن ضياعها. والجهات الوحدوية كما هو معروف وواقع ماديا: البعثيون والناصريون وبقية الوحدويين، فقد أتيح لها بدون أي عائق قانوني أو سياسي إلا عائق المستعمرين وأذنابهم وكل من يعطي أذنه إلى الأمريكيين والصهاينة، ولكنهم مع ذلك لم يحسموا الأمر كما فعله ضباط الجيش السوري الذين حققوا تلك الوحدة المصرية السورية. وهذا ما يشكل ردا مفحما لكل أولئك الذين تشدقوا بالوحدات المدروسة، إذ ما الذي كان يمنع أولئك الوحدويين في مصر وسورية والعراق من "دراسة" وحدة لهذه الأقطار غير الواقع الاستعماري الأميركي؟ وقد اعتمد المستعمرون الأمريكان في فصم الوحدة وفك الحصار عن إسرائيل بمسخ الوحدة وقلبها إلى عكسها بالإلحاق ثم سحقها بالانفصال النفسي الذي نسج خيوطه أولئك الأغبياء الحمقى من المصريين الذين أتوا إلى سورية لإقامة عرش لفرعون مصري ثم القضاء عليها بالانفصال المادي."